

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ
لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ } ..

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا
اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } ..

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } ..

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار..

معاشر المؤمنين الكرام: المسلمُ الكيسُ الفطنُ الموفقُ: يُدركُ ويستيقنُ أنّ الله تبارك وتعالى هو مالك الملك.. وخالق الخلق، ومدبرُ الكون، ومصرفُ الأمور.. له المشيئة النافذة، والقدرة الغالبة، والحكمة البالغة، بيده مقاليد الأمور كلها.. سبحانه وبحمده: {وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}..

ثم اعلّموا يا عباد الله: أن هذا الخالق العظيم، والمبدع الحكيم، قد دعانا لكي نتفكّر في عظيم مخلوقاته، ونتدبرَ حكيمة آياته، فقال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ {، وَخَصَّ
سُبْحَانَهُ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولَ: لِأَنَّهُمْ وَفَقُوا لِلانْتِفَاعِ بِهَا،
وَلِأَنَّهُمْ: {يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ}، فَإِذَا
تَفَكَّرُوا.. عَرَفُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْهَا عَبَثًا، فَيَقُولُونَ: {رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ}..

وَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ: حِينَ يَتَأَمَّلُ وَيَتَدَبَّرُ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمِ،
يَرَى فِي كُلِّ جُزْئِيَةٍ مِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى عِظَمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى، وَبَدِيعِ صَنْعِهِ وَاتِّقَانِهِ، وَجَلِيلِ حِكْمَتِهِ وَإِنْعَامِهِ..

وَأَنَّهُ: فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ * تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ..

فَتَعَالُوا أَحِبَّتِي فِي اللَّهِ لِنَتَأَمَّلُ وَنَتَدَبَّرُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ
الْحَكِيمَةِ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْغَيْثِ، وَتَصِفُ الْأَحْوَالَ قَبْلَهُ
وَأَثْنَاءَهُ وَبَعْدَهُ، وَتَسْتَعْرِضُ تَكْوِينَهُ وَإِنزَالَهُ وَأَثْرَهُ..

يقول الحقُّ جل وعلا: { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرَىٰ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًا كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } ..

ويقول سبحانه وبحمده: { فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } ..

تأمل يا رعاك الله في أرجاء الأرض وهي قاحلةٌ ماحلة،
والسمااء صحوٌ صافية، قد تربعت في كبدها شمسُ الهاجرة،
ثم إذا بالغيم يتسابقُ من كل مكان، تبرقُ السمااءُ وترعُد،
ثم ينزلُ منها كأفواه القرب، يجري على وجه الأرض
كالأنهار، يغمُرُ كل فجاجها، ويسقي كل ربوعها، فترتوي

الأرض وتمتلئ الغدران، ثم تلبس الأرض من ثيابها الخضراء
الحسان، ما يُحيلها إلى منظرٍ آسرٍ فتان.. لا إله إلا الله:
{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ
كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا
أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}..

فما أعظم قدرة الرب، وما أجلّ نعمته، يُرسل الرياح
فتسوق السحاب وتجمعه قطعةً قطعة، ثم يتخُن ويتكثفُ
شيئاً فشيئاً، ويتراكم بعضه فوق بعض، فتري الودق وهي
نقطُ الماء وقطراته الصغيرة، تنزلُ من خلال السحاب، إذ
أنه لو نزلَ دُفعةً واحدةً لكان دماراً.. فإذا نزل الغيثُ
بفضل الله، استبشَرَ العباد وفرحوا.. ولم لا فقد: (كانوا من
قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين)، أي قانطين يائسين:

{فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}..

فكم في تكوين المطر وإنزاله من أدلة ساطعة على عظيم
قدرة الله, وبديع صنعه جلّ في علاه..

تأمل في تلك القطرات المتتابعة، وتمعن فيها حين اشتداد
صبها ونزولها، ثم استشعر أنّ كل قطرة منها وإن صغرت،
فقد علم ربنا سبحانه مبدأ تكونها، ومسار حركتها، وأين
سيكون نزولها ومستودعها..

ثم تأمل في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا
وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ}، أرايتم إلى تلك الأمطار الغزيرة،
والسيول الجارفة، التي ملئت الأودية والشعاب، وغطت
مساحات هائلة من الأرض، هل تصورتم حجمها وكميتها،

هل تخيلتم ووزنها وثقلها، لقد كانت كلّها، بالإضافة إلى ما لم ينزل منها، كلّها كانت معلقةً في السماء.. فكم فيها من الأطنان؟ ومن يحملها وهي بهذه الأوزان؟.. إنها كما قال ربنا المتعال: سحابٌ ثقال، فسبحان من خلقها وأمسكها، ومتى شاء أنزلها أو أمسكها.. بينما كثيرٌ من الناس عن هذا غافلون، بل ويجادلون، {يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ}، شديد القوة والبطش، فهلا تدبرنا.. فالحق جل وعلا يقول: {فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.. ففي إحياء الأرض بعد موتها دليلٌ على قدرته جلّ وعلا على إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة، وما أكثر الآيات التي تربطُ بين إحياء الأرض بعد موتها، وبين إحياء الموتى وبعثهم

من قبورهم، قال تعالى: {وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ
فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}، وقال تعالى: {فَانظُرْ
إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ
لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}..
أقول ما تسمعون..

الحمد لله وكفى..

أما بعد فاتقوا الله عباد الله وكونوا مع الصادقين، {الَّذِينَ
يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ}..

معاشر المؤمنين الكرام: وكما ربط القرآن بين إنزال الغيث
وإحياء الأرض بعد موتها، وبين إحياء الموتى وبعثهم يوم

القيامة، فقد ربط كذلك بين إنزال الغيث وإحياء الأرض
بعد موتها، وبين الوحي والذكر إذا نزل على القلوب،
فأحيائها بعد موتها وأيقظها من غفلتها..

إنه كالماء المبارك، إذا نزل على الأرض الميتة.. أرض كانت
بالأمس القريب، هامدةً يابسة، قاحلةً ماحلة، فإذا بها اليوم
نديّةً ريانة، ثم غداً بإذن الله تكتسي بساطاً أخضر، وزروعاً
وأشجاراً مدّ البصر، وألواناً فاتنة من الورود والزهر..
فسبحان من يخرج من اليبس حياة، ومن الأرض القفر
جناناً بعد الموات.. {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً
فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا
لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}..

فهذا الربيع يا عباد الله: موعظةٌ وذكرى، لا يراها إلا من
كان له قلبٌ حاضرٌ حيٌّ، وعقلٌ موفقٌ ذكيٌّ.. كما قال
الناظم: إذا المرء كانت له فكرةٌ * ففي كل شيءٍ له عبرةٌ..
وإن حُرِمَ القلبُ إشراقها * فقد فاتهُ النورُ والتبصرة..

لنتأمل ما يقوله المولى جل وعلا في سورة الحديد، {أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ
وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ
الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}.. ثم يقول جلَّ
وعلا بعدها مباشرة: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِيي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.. وفي سورة الزمر،
يقول تبارك وتعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَسَلَكَهُ يَنَابِعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ

يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي
الْأَلْبَابِ {، ثم يقول في الآية التي تليها: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ
صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ
مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.. فهذا الربط القوي
بين حياة الأرض بالمطر، وحياة القلوب بالوحي والذكر،
سنة ربانية مطردة، يقررها القرآن العظيم، ويؤكدها النبي
الكريم صلوات الله وسلامه عليه.. ففي الصحيحين قال
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ
الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ
الْكَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ
الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ
مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ

كَلَّا، فَذَلِكَ مَثَلٌ مِّنْ فَقْهٍ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ
بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلٌ مِّنْ لَّمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ
هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»..

فليتأمل كلُّ واحدٍ منا أيُّ أرضٍ هي قلبه.. أرضٌ تحيا إذا
نزل عليها الوحي والذكر، أم أرضٌ لا تمسك ماءً ولا تُنبت
كَلَّا.. نعم يا عباد الله: فكما أن الأرضَ لا تحيا إلا إذا
تعرضت للغيث والمطر، فإنَّ القلوبَ لا تحيا إلا إذا رويت
بالوحي والذكر.. {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً
ضَنْكًا}، من أعرض عن القرآن والذكر، فهو كأرضٍ حُجب
عنها ماءُ السماء، فمهما طال بها الزمن فلن تُزهر..

وكما أننا إذا تأخر عنا المطر، وقحطت الأرض واجدبت
الديار، خرجنا نتضرع ونستسقي، فينبغي أن نتضرع

ونستسقي لقلوبنا، فإن القلب إذا قسا، فهو أشدُّ خطرًا
من قحوط الأرض ويبسها..

عباد الله: ليس العجب أن نرى الأرض تحيا بعد موتها،

ولكن العجب أن نرى قلوبًا تموت وتذبل والقرآن بين يديها

ومن حولها.. {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ

اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}.. سؤال يهزُّ القلوب، ويوقظ

الغافلين.. {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ

مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ}.. ثم دلالة على المخرج: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}..

وفي سورة الزمر: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا

مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ{..

والخلاصةُ أيها الكرام: أنَّ التفكيرَ الصادق هو الذي يُحيي
القلب، ويُزكي النفس ويُقرب العبد من ربه.. فما يحصل
للأرض من حياةٍ وانتعاشٍ بعد نزول الغيث.. هو رسالةٌ
قويةٌ لأصحاب القلوب الحية، والعقول الذكية، يقول لهم:
كما أن الله يُحيي الأرضَ بعد موتها، فإنه سبحانه يُحيي
القلوب بعد غفلتها، ويُلينها بعد قسوتها.. فلا تيأسن من
قلبك، ولو طال عليه الأمد.. فربُّ القلوب، هو ربُّ
الغيوث، هو الذي يُحيي هذه بالغيث والمطر، وهو الذي
يحيي تلك بالوحي والذكر..

فاتقوا الله عباد الله وأحيوا قلوبكم بذكره، وارووها بآيات
كتابه ووحيه، وتعرضوا لنفحات رحمته وفضله..

اللهم يا من أحييت الأرض بعد مواتها، أحي قلوبنا وأيقظها
من غفلاتها.. اللهم كما سقيت بلادنا بالغيث المعين..
فأغث قلوبنا بوابل الإيمان واليقين..

{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ
بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ * وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ
الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}..

يا ابن آدم عش ما شئت فإنك ميت، واحبب من شئت
فإنك مفرقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، البر لا يبلى،
والذنب لا ينسى، والديان لا يموت، وكما تدين تدان..